# الترجمة الأدبية بين إشكالية الدال الثابت والمدلول العائم

*نور الدين صدار*
*جامعة معسكر*

***ملخص :***

*إن الإبداع بنية لغوية ذات دلالة إيحائية، وليس التواصل في الإبداع إلا هذه الدلالة الإيحائية النابعة من بنيته اللغوية الخاصة.وإذا كان أمر الإبداع على هذا النحو يطرح إشكالية التواصل في أية عملية إبداعية على مستوى اللغة المصدر من حيث كون الدلالة التعيينية تتحول إلى دلالة إيحائية .فإن الترجمة الأدبية تطرح إشكالية مزدوجة ،ذلك لأنها تحاول إيجاد بديل ترجمي للدلالة الإيحائية من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف.ومن هنا كانت إشكالية العلاقة بين الدال والمدلول في الترجمة الأدبية، وهي إشكالية في غاية التعقيد. من هذا المنظور يهدف هذا البحث إلى معالجة الترجمة الأدبية بوصفها ترجمة تفرز إشكاليات معقدة بين الدال والمدلول.فالبنية الإحالية التي يتضمنها النص الأصلي المنقول إلى لغة مختلفة الأنساق النحوية والبلاغية والمعجمية ،والمشحونة بالأبعاد الحضارية والثقافية والاجتماعية ،تتغير إلى قراءة تتسم بالاصطناع ورهافة المقصد و قصدية المعنى، مما يجعل ترجمة النص الأدبي عملا محفوفا بالمزالق والانزياح المبالغ في صقل المعنى في كسوة إما فضفضة، وإما شديدة الالتصاق إلى حد الاختناق.*

*لأجل ذلك كانت الترجمة الأدبية من أصعب أنواع الترجمات لأنها تعتمد بصورة كبيرة على التذوق والتماهي مع خيال المبدع لتكون صورة الترجمة والمادة الأدبية إبداعية غير حرفية. ومن هذا الباب تصبح الترجمة الأدبية علما وفنا ومهارة .ذلك أن الترجمة الحرفية لا تعطي النص المترجم حقه أو لونه الفني ومدى رفعته وتأثيره في لغته الأصلية. فالمدلول في النص الأدبي عائم لا يستقر على حال ولا يشير إليه الدال الحرفي.*

*ولتحقيق هذه الغاية اقتضت خطتنا الإجرائية معالجتها في أربعة محاور فكان البدء بتناول قضية العلاقة بين الدال والمدلول بوصفها المحور المركزي في هذا البحث فوقفنا على مرجعياتها العربية والغربية لتمثل طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول ،وفي ضوء ذلك كانت مناقشة هذه بقية الجزئيات.*

*أما المحور الثاني ا الموسوم **"الترجمة الأدبية بين الأمانة والإبداع"** حاولت أن أبين أن الترجمة الأدبية تتباين عن الترجمة العلمية، فهي من أصعب أنواع الترجمات لاعتمادها بصورة كبيرة على جوانب عدة :**علمية وفنية ومهارية وذوقية** ،وهذا يتطلب روحا إبداعية لتكون صورة الترجمة والمادة الإبداعية غير حرفية " ومن هذا الباب طرحت الترجمة الأدبية صعوبات كثيرة وأفرزت إشكاليات معقدة، وهذا ما سنحاول تحليله في المحور الثالث الذي ناقشنا فيه الإشكاليات الأساسية المطروحة على الترجمة الأدبية، والتي نجملها في غموض الإبداع وعدم فهم اللغة المصدر واستيعابها،و عدم معرفة حضارة اللغة التي يترجم منها وإليها. فالترجمة الأدبية تشدها وتحكمها اللغة بوصفها رؤية للعالم من جهة، وحضارة هذه اللغة باعتبارها مهدا لها من جهة أخرى، فضلا على أن الترجمة الأدبية هي الأمانة على المعنى أكثر مما هي أمانة على اللفظ. ومن الإشكالات التي أفرزتها الترجمة الأدبية والتي تتصل بجوهر نظرية الترجمة، مفهوم **التناظر** أو **التعادل** بين النص المترجم الذي صيغ بلغة الهدف، وبين أصله في لغة المصدر.فالتناظر مفهوم إشكالي خلافي، ينطوي على إشكالية كبيرة ومعقدة ،لا تتصل بالمضمون فحسب ،بل بالجانب الأسلوبي والجمالي،ذلك أن تحقيقه هو مطلب الترجمات علمية كانت أم أدبية، ويضاف إلى ذلك إشكالية ترجمة النصوص ذات الأسلوب التهكمي والفاكهي والساخر، فما يثير الضحك والسخرية في لغة ما قد لا يثيرها في لغة.*

*نخلص في الأخير إلى المحور الرابع من هذا البحث، وهو المحور الذي وسمناه " **نحو رؤية منهجية لترجمة أدبية علمية فنية.** "وتهدف هذه الجزئية عرض تصور منهجي لترجمة أدبية تراعي الجوانب*

*العلمية و الفنية انطلاقا من الإشكاليات التي تطرحها الترجمة الأدبية. إن الحفاظ على سلامة العمل الأدبي تقتضي احترام عدد معين من الثوابت، وهي غير لسانية ، دون المساس بالقضايا الكبرى كالحبكة والفكرة والموضوعة ،حتى لا يضر غياب الشكل كثيرا من تكافؤ المعنى العائم. وتبقى في الأخير أي ترجمة أدبية مقترحة، ترجمة مفتوحة تاركة للنص أكبر عدد ممكن من الاحتمالات القرائية ،وأن يحترس المترجم من الانحياز ،ومن إعطاء نظرة اختزالية من شأنها أن تحد فيما بعد صقل الإيحاءات الممكنة .ومن هذا المنظور تتمظهر الترجمة الأدبية في جوانبها العلمية و الفنية و المهارية.*
***الكلمات المفتاحية*** *: الدال ،المدلول، الترجمة الأدبية ،الإيحاء، التقارب.*

***Résumé :***
*La traduction littéraire entre le signifiant statique et le signifié variable*

*La créativité est une structure linguistique à valeur connotative, et la transmission de la créativité n'est rien de plus que cette valeur connotative qui émane de sa structure linguistique propre. Si la créativité pose ainsi la problématique de la transmission pour chacune de ses manifestations au niveau de la langue source, de sorte à ce que chaque valeur dénotative se transforme en une valeur connotative, la traduction littéraire pose alors une double problématique puisqu'elle essaye de trouver une possibilité de traduction pour la valeur connotative de la langue source vers la langue cible. C'est donc à partir de là que s'établit la problématique, complexe, de la relation entre le signifiant et le signifié dans la traduction littéraire.*

*Dans cette optique, ce travail vise à se placer dans la traduction littéraire entant que traduction impliquant des problématiques complexes entre signifiants et signifiés. Lorsque la structure allusive du texte source se trouve transposée dans une langue qui enveloppe des arrangements différents aux niveaux grammatical, rhétorique et lexical et qui recouvre d'autres dimensions civilisationelles, culturelles et sociales, elle se transforme en une lecture refaçonnée, dotée d'une visée subtile et d'une intentionnalité dans le sens. Cela fait de la traduction du texte littéraire un travail rempli d'embûches et d'écarts tellement grands qu'ils revêtissent le sens soit d'une appréciation trop grande ou d'une autre tellement étroite qu'elle finit par l'étouffer.*

*Voilà pourquoi la traduction littéraire est l'une des traductions les plus difficiles ; elle repose largement sur l'imagination du traducteur et n'accepte pas l'étroitesse qu'impose souvent la traduction littérale.*

*Notre plan de travail s'articule pour le moment selon quatre axes ; le premier concerne la relation entre le signifiant et le signifié étant donné que c'est le point central de notre recherche, le deuxième s'intitule « La traduction littéraire entre fidélité et créativité » et traite des différences majeures entre la traduction scientifique et la traduction littéraire et des compétences que requiert cette dernière. Le troisième axe expose les écueils de la traduction littéraire à partir des problématiques précédemment citées, et enfin le quatrième axe ambitionne de proposer un modèle méthodologique de la traduction littéraire, prenant en compte les aspects scientifiques et artistiques. Au final, chaque traduction littéraire est une proposition ouverte aux différentes interprétations et suppositions qui proviennent de lectures de différents niveaux.*
***Mots clés :*** *Signifiant , Signifié ,Traduction littéraire, connotation, Rapprochement .*

**أولا ـــــ إشكالية العلاقة /الدال والمدلول**

أثارت قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى / الدال والمدلول نقاشا كبيرا وجدلا عميقا عند اللغويين العرب والغرب على حد سواء، واختلف العلماء في تحديد طبيعة هذه العلاقة التي تسوسها مكونات خفية

ومرجعيات عقائدية وفكرية .فما طبيعة العلاقة التي تربط الدال والمدلول. وكيف السبيل إلى تمثل العلاقة بين الدال والمدلول على مستوى الترجمة بشكل عام والترجمة الأدبية بشكل خاص .؟

لتفسير العلاقة بين الدال والمدلول على مستوى الألفاظ رأينا من الضروري أن نشير ولو بشيء من الإيجاز إلى أبرز الاتجاهات التي خاضت النقاش في طبيعة هذه العلاقة.ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى اتجاهين رئيسين خاضا النقاش في هذه المسألة.

اتجاه يرى أن الدوال تدل على معانيها بذواتها ،واتجاه آخر يرى العلاقة بين الألفاظ ومعانيها علاقة وضعية .واتفق العلماء المسلمون أن العلاقة بين الدال والمدلول في اللغة علاقة وضعية اصطلاحية.غير أنهم اختلفوا في أصل المواضعة، هل هي من الله ابتداء أم أن المواضعة أساسها بشري .؟ وتمتد جذور هذا الاختلاف في الفكر الديني الإسلامي ، وتجد لها تجليات كثيرة ، فهي تظهر في خلافهم حول خلق القرآن وقدمه. وتمتد إلى مشكلة الصفات الإلهية فهل هي عين الذات أم هي زائدة على الذات، وتجد جذرها العميق في قضية التوحيد ونفي مشابهة الله تعالى للبشر ." (نصر حامد أبوزيد، 1992، :69)

تصور العلماء المسلمون أن الاسم بديل للإشارة ،وربط ابن جني المواضعة بالإشارة الحسية .فالاسم هو نوع من أنواع الإشارة اللفظية استبدل بالإشارة الحسية وحل محلها، وهذا في حالة دلالته على شيء موجود في الواقع الخارجي.فإذا كانت هناك أشياء ليس لها وجود في الواقع ،فإن الإخبار عن مثل هذه الأشياء يستلزم التسمية ، أي يستلزم المواضعة . ومن هنا كانت المواضعة ضرورية لتحقيق التواصل ." (نصر حامد أبوزيد، 1992، :71)

وقد تكون المواضعة بديلا للإشارة ،وتكون وظيفة الألفاظ الإشارة إلى الأشياء أو للمسلمات حالة غيابها عن الحواس.وإذا كانت الأشياء مما لا تظهر للحواس أصلا تصبح المواضعة ضرورية.فالعلاقة بين الدال والمدلول في الألفاظ ( أسماء المعاني ، وأسماء الذوات ) علاقة إشارية بحتة ." لذلك نجد أحدنا يستدعي من غلامه سقي الماء بالإشارة على حد ما يستدعيه بالعبارة ، لعادة تقدمت ، يعرف بها أن الإشارة تحل محل العبارة التي تقدمت معرفة فائدتها ." ( القاضي عبد الجبار،1960،:161)

لا شك أن الخلاف في طبيعة المواضعة بين الدال والمدلول عند المعتزلة والأشاعرة ليس في اشتراط المواضعة شرطا لدلالة الكلام، إنما هل هي من الله ( التوفيق) أم من الإنسان ؟،وليس الخلاف في حقيقته إلا حول المواضعة الأولى في تاريخ الكون ." (نصر حامد أبوزيد، 1992، :74).إن تعريف المعتزلة للكلام يربط اللغة بالدلالة الصوتية، لأجل ذلك نفوا صفة الكلام عن الله بوصفها صفة ذاتية هي عين ذاتية. فالكلام من وجهة نظر المعتزلة " ما حصل فيه نظام مخصوص من هذه الحروف المعقولة حصل في حرفين أو حروف.فما اختص بذلك وجب كونه كلاما، وما فارقه لم يجب كونه كلاما، وإن كان من جهة التعرف لا يوصف بذلك ، إلا إذا وقع ممن يفيد أو يصح أن يفيد ،فلذلك لا يوصف منطق الطير كلاما ، وإن كان قد يكون حرفين أو حروفا منظومة ." [القاضي عبد الجبار، 1960،:7] يفرق التعريف السابق بين مفهومين " الكلام " و " القول" ، فحين يكون المعنى في النفس يتحقق الكلام ، وحين يتحول المعنى إلى أمارات أو علامات صوتية تدل عليه يكون القول ومن هنا فإن الكلام يمكن أن يتحقق بعلامات مختلفة.

تناول عبد القاهر الجرجاني ( 471ه) مسألة الدال والمدلول، وكان مدخله إلى ذلك ' إعجاز القرآن' .فقد كان عبد القاهر مشغولا بالخصائص الفارقة بين كلام وكلام ، أي أنه كان يبحث عن القانون اللغوي الذي يتحقق به الإعجاز، فلم يجد إلا قانون ' النظم '. ولكي يؤصل هذا المبحث كان عليه أن يراجع الآراء التي ناقشها أسلافه العلماء من لغويين وبلاغيين مما حدا به أن يراجع بعض مسلماتهم ومنها قضية اللفظ والمعنى التي نفاها عن الفكر اللغوي والبلاغي والنقدي ،وهي المسلمة التي أصلها الجاحظ في قولته المشهورة" ذهب الشيخ إلى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي...وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ،فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير". (الجاحظ،1969،:131).وقاده ذلك إلى أن ينفي عن الألفاظ ( الدوال ) بوصفها مفردات وأصوات صفات القبح و الحسن ' [نصر حامد

أبوزيد، 1992، :76) ليقرر أن الدوال " تجري مجرى العلاقات والسمات،ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه وخلافه .

إن العلاقة بين الدال والمدلول، كما تصورها عبد القاهر' علاقة استوحاها من مقالة أبي الحسن الأشعري (330ه) ،و هي مقالة لم يؤيد فيها المعتزلة ، ولا السلف في مسألة خلق القرآن التي أثارها 'جهم بن صفوان' ،هل هو قديم أزلي فيكون بذلك صفة من صفات الله، كالقدرة والعلم والعدل ، أم هو محدث ومخلوق لله، لم يكن ثم كان.؟ وقد اختلف الفقهاء والمتكلمون في الإجابة فصارت محنة ." ( مختار حبار،2002،:37) وقف أبو الحسن الأشعري من مسألة خلق القرآن " موقفا وسطا توفيقيا ، وتكلم لأول مرة بين الفرق بما سماه ' **الكلام النفسي** 'و ' **الكلام اللفظي**'". (مختار حبار،2002،:39) وصفوة رأيه في هذه المسألة :" كلام الله يطلق إطلاقين، كما هو الشأن في الإنسان .فالإنسان يسمى متكلما باعتبارين **أحدهما بالصوت ،و الآخر بالكلام النفسي** الذي ليس بصوت ولا حرف،وهو المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ." ( أحمد أمين، :40)

وقد بدا تأثير الفكر الأشعري في كتابات عبد القاهر الجرجاني في كتابيه 'أسرار البلاغة'و 'ودلائل الإعجاز '، سواء على مستوى المقولات النظرية أم على المستوى الإجرائي ،" فمن ذلك أخذ بمقولة ' **الكلام النفسي**'،و'**الكلام اللفظي**'،وأسبقية الأول على الثاني في الفاعلية والسياسة،ويتلخص استعماله لذلك في العمل على إتباع مبدأ " ترتيب اللفظ في النطق يخضع لترتيب المعاني في النفس." (مختار حبار،2002،:40)

إن الترابط بين **الدال** بوصفه علامة صوتية ، وبين **المدلول** باعتباره المعنى في النفس ، من شأنه أن يعطي للعلامة ( signe ) قيمتها ودلالتها،واختلافه يهدر قيمة العلامة .فالدال لا يراد لنفسه إنما يراد بمدلول.تلك هي النتيجة التي توصل إليها عبد القاهر حين قرر أن " الألفاظ لا تراد لأنفسها ،وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني ،فإذا عدمت الذي تراد له أو اختل أمرها فيه لم يعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحده."( عبد القاهر الجرجاني،1984،:522)

إن المعاني الذهنية أو النفسية سابقة على الدلالة اللغوية، أي أن المدلول سابق في نشأته وتصوره قبل نشأة الدال بصفه علامة صوتية، ذلك أن تصور المعاني وإدراكها (عملية نفسية) يعرف قبل أن يتواضع الناس عليها." ولم يكن حرص علماء المسلمين وحرص عبد القاهر معهم على أسبقية الدلالات العقلية على الدلالة اللغوية إلا حرصا نابعا من إرادة تثبيت الواقع الخارجي ـ العالم ـ الدال على وجود الخالق والدال على كل صفاته... وليست المعاني التي تعبر عنها الألفاظ عند عبد القاهر إلا المفاهيم الذهنية المدركة عند العالم الخارجين وهي مفاهيم قد ترتبط بأشياء عينية حسية ذات وجود عيني في العالم الخارجي." (نصر حامد أبوزيد، 1992، :78)

ويمكن اختزال العلاقة بين الدال والمدلول بعبارة نصر حامد أبي زيد أن العالم يتحول في الذهن إلى مجموعة من الصور والمفاهيم ،أي يتحول من وجود عيني محسوس إلى وجود ذهني متخيل ،ثم يتحول من هذا الوجود الذهني المتخيل إلى دلالات صوتية،فرموز." (نصر حامد أبوزيد، 1992، :80/79)

ساهم الفكر اللغوي الغربي في هذا النقاش الذي لم يكن بعيدا عن النقاش الذي خاضه الفكر العربي بشكل عام ،كما رأينا ، بل إنه يتقارب معه كما سيتضح فيما بعد.فقد أثارت مسألة العلاقة بين الدال والمدلول الكثير من الجدل بين علماء اللغة الغرب منهم دو سوسير وبنفينست ، فالعلاقة بين الدال والمدلول تنشأ على مبدأ **الاعتباط** ،بل إننا نجد تقاربا واضحا بين ما ذهب إليه عبد القاهر الذي أومأنا إليه منذ حين، وبين مفهوم العلامة عند دوسوسير ، الذي أكد " أن الدليل اللساني لا يجمع بين شيء واسم بل ،بين متصور ذهني وصورة أكوستيكية (F.de Saussure,1916, :99) ." وفي هذه النقطة يلتقي دي سوسير(1913) مع الجرجاني التقاء **منهجيا** ،إذ فرق هو أيضا بين اللغة والكلام ،فاعتبر اللغة مؤسسة اجتماعية في ماهيتها ومستقلة نسبيا عن الفرد ،واعتبر الكلام فاعلية فردية مستقلة نسبيا عن الجماعة، والسبب في هذا التفريق والتفريع يرجع ـ في نظره ــ إلى أن الدرس الألسني يستحيل أن يتحقق عند مدارستهما في آن واحد ،ولما كان غرضه في الدرس اللغوي هو اللسانيات العامة،فقد بين أن عمله سيكون منوطا باللغة لا بالكلام.فالاتفاق بين الرجلين كان في **ضرورة التفريع المنهجي** ،وكان الاختلاف بينهما في

توجه كل منهما في درسه لاختلاف أهداف الدرس عندهما فبينما مراد 'دي سوسير 'كان اللسانيات ، كان مراد 'الجرجاني' البلاغة والأسلوبية ." (مختار حبار،2002،41:)

فقد اصطلح دي سوسير مصطلح( signe ) أي دليل على التوليف بين المتصور الذهني (المدلول)[ **الكلام النفسي** ] والصورة الأكوستيكية (الدال ) [ **الكلام اللفظي** ] " ( F.de Saussure,1916, :99 ) فالمدلول هو المفهوم ، الفكرة، محتوى رسالة قابلة للتنقل، أما الدال فهو الجوهر المادي المسند إليه حمل هذه الفكرة . ومن هذا المنظور فإن النشاط الكلامي عند دي سوسير يتألف من جانبين ، أحدهما **عضوي** والآخر **نفسي**،وأن مكونات العلامة اللسانية (الدال والمدلول)ذات كيان نفسي بيد أن الكلام وإن ظهر بأنه وثيق الصلة بالحياة العقلية إلا انه سرعان ما ينتقل إلى الجانب العضوي." ( أحمد يوسف، 2004،37:) فالعلاقة بين الدال والمدلول من وجهة نظر سوسير تجري وفقا لعملية معقدة ،وأن لهذه العملية مستويات كثيرة ،وقد بسط ذلك في الدائرة الكلامية المشهورة ."إن التلفظ الصائت يرسل صورة سمعية Image acoustique' ' هذه الصورة السمعية تصل إلى الأذن ، تنطبع على الحواس حيث تنتقل أو تتحول إلى مفهوم ' concept ' . السامع الذي يقوم بهذه العملية ، ينقل الصورة السمعية إلى مفهوم، وحين يريد الكلام يقوم بعملية معاكسة ،ينقل المفهوم إلى صور سمعية يلتفظ بها تلفظا صائتا ويرسلها إلى سامع وهكذا دواليك ." ( يمنى العيد،1985،29:)

إن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي، وبعبارة أخرى يجب أن نفهم من الاعتباطية عدم وجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول.فالمدلول هو نتاج تواضع عن اتفاق اجتماعي معين.وإن مبدأ اعتباط الدليل هو أساسي بالنسبة للمترجم ،لأن موضوع الترجمة ليس هو الدال إنما هو المدلول، ولتوضيح ذلك نسوق مثالا دقيقا على ذلك ' فاطمة اسم علم ، لنذكر استخدام اسم فاطمة Fatima ' من طرف المستعمرين الفرنسيين في الجزائر. وهو اسم انتقل من صنف أسماء العلم noms propres ' إلى صنف الأسماء المشتركة ' noms communs ' لأنه عرف تطورا **استبداليا** ' paradigme ‘: 'الفاطما' la fatma ،فاطمتي ma fatma ، والذي استخدم لتعيين كل امرأة جزائرية (سواء كانت تسمى فاطمة أم لا ) ،وعادة ما تكون عاملة بيت :

ـــ فاطمتي لم تأت" ma fatma n’est pas venue " = عاملة بيتي لم تأت '.

ـــ أبحث عن فاطمة " je cherche une fatma = أبحث عن عاملة بيت.'

إذن ، بالنسبة للدال الثابت 'فاطمة ' فإن دلالته عند المستعمر الفرنسي لا تخرج عن المرأة الجزائرية الخادمة أو العاملة ، وكل دلالة خارج هذا السياق تكون رديئة وغير دقيقة ، ومن هنا تبرز الإشكالية ف'فاطمة في هذا السياق ليست اسم علم بقدر ما هي من الأسماء المشتركة. إذا ترجمت جملة 'ma fatma n’est pas venue ' بـ فاطمتي لم تأت" آخذين ' فاطمة ' بوصفها اسم علم ( دال ثابت)، فإن الترجمة لن تكون دقيقة ،لأنها لا تناظر الجملة السابقة في مدلولها .إن اسم فاطمة في السياق الاستعماري ليس له دلالة **تعيينية**، ولا يشير إلى المدلول المتعارف عليه . إن مدلول فاطمة في هذه الوضعية مدلولا عائما لأنه خرج عن الدلالة التعيينية المتعارف عليها .

و بالنسبة للمترجم الحصيف فإنه ينبغي أن يضع مثل هذه النصوص في وضعها التاريخي والاجتماعي والثقافي للجزائر قبل أن يقدم على ترجمتها وتحويل المعنى المتلقى من خلال الممارسة الاجتماعية للدليل ( Fatma )، لأن مجموع نظم الدليل هي وقائع اجتماعية يقع غرسها كل لحظة في التاريخ ، إنها لا يمكن أن تبقى غير مبالية بهذا التاريخ ، أي على الحياد." ( مدخل إلى اليسميولوجيا ، تر، عبد الحميد بورايو، 1995،18:)

وانطلاقا مما سبق ، نجد في كل دليل ( signe ) مستويين من المعاني:

ـــ مستوى المعاني المتلقاة ، المقبولة ، معاني المعجم والتي تسمى معاني **التعيين'** Dénotation'.

ـــ مستوى المعاني المتطفلة، الإضافية، والتي تكون ضمنية في أغلب الأحيان والتي تسمى معاني **الإيحاء** ‘ Connotation '.

فالدال إما أن يكون دال تعيين أو دال إيحاء ومن هذه الرؤية تنطلق الترجمة.غير أن الفارق بين الدال والمدلول يتمثل في طريقة استخدام الدال وارتباطه بالمدلول والتعاطي الثقافي واللغوي معه. ويبقى الدال تعبير صوتي مختلف حسب البيئة يتحيز لمفهومه ولارتباطه الحضاري وسياقه التاريخي الذي نشأ فيه .و " كل دال متجذر في تشكيل حضاري فريد له لغته المعجمية والحضارية الفريدة ، ولذا فالدال وحقله الدلالي مرتبط بسياق حضاري محدد ويشير إلى ظواهر بعينها دون غيرها ." ( عبد الوهاب المسيري،2002،: 197/196)

**ثانيا ـ الترجمة الأدبية بين الأمانة والإبداع**

نحاول في هذه الجزئية تمثل الترجمة الأدبية من خلال المعادلة اللامتكافئة بين جدلية الدال اللغوي الذي يحمل دلالة لغوية ثابتة،وبين المدلول العائم الذي يحمله النص الأدبي ،والذي لا يستقر على معنى ثابت. ولمناقشة هذه الإشكالية ارتأيت تناولها في عدة عناصر فرعية يفضي تحليلها ومناقشتها إلى بعضها البعض.وحتى تكتمل هذه المقاربة وقفت عند فكرة تتصل بالترجمة الأدبية والترجمة العلمية، لأنتقل إلى ترجمة قضية الثابت الذي يقتضي ترجمة أمينة ،وخلصت إلى نقطة أساسية تتصل بالسابقة وهي المدلول العائم الذي يطرح نفسه بإلحاح في الترجمة الأدبية ،لأخلص إلى أن الترجمة الأدبية علم وفن ومهارة .

يجب أن نميز بداية بين مصطلحي '**الترجمة** 'Traduction ' وبين **'التفسير أو التأويل** ' Interprétation ' بوصفهما مصطلحين شائعي الاستعمال في الدراسات والأبحاث الترجمية . فالترجمة تعني بشكل عام ترجمة الأفكار المعبر عنها كتابة من لغة إلى أخرى ، أي أن الترجمة مرتبطة بالمنتوج الذي ينتجه المترجم من اللغة المصدر " La traduction est le fait d'interpréter le sens d'un texte dans une langue (langue source),et de produire un texte ayant un sens et un effet équivalents sur un lecteur ayant une langue et culture différentes , « langue cible » ) . أما التأويل، فإن دلالته تعني ترجمة الأفكار المعبر عنها شفاهة ،أو باستعمال إشارات معينة ، أو أجزاء من الجسد ( لغة الإشارات ) نحو لغة أخرى ( L'interprétation , consiste à traduire des idées exprimées oralement ou par l'utilisation de parties de corps ( langues de signes) d'une langue vers une autre ). ويمكن اعتبار التأويل أصغر مجال من الترجمة، بالمنظور الإجرائي لها الذي يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل :

1 ـ مرحلة الفهم : وتعني استيعاب وتمثل المعنى الذي يحمله النص من اللغة المصدر، وما يريد أن يقوله مؤلف النص ، أي بالكشف عن مقصديته .

2 ـ مرحلة النسيان :- Déverbalisation ، وتعني نسيان المترجم لما علق بذهنه من كلمات وألفاظ وتراكيب ، والاحتفاظ بالمعنى " عملية يتمظهر من خلالها الوعي بالمعنى للرسالة دون الوعي بالكلمات والجمل التي شكلته ." (J.Demanlli, :51)

3 ـ إعادة صياغة وتركيب المعنى المتمثل من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف.

لن يتمثل الباحث في هذا الحقل حقيقة الترجمة الأدبية بوصفها علما وفنا ومهارة ما لم يقم بمقارنتها بالترجمة العلمية بوصفها ترجمة لها خصوصيتها الترجمية.ولاشك أن العديد من الدراسات والأبحاث تناولت هذا الموضوع ،خصوصا الأبحاث المتعلقة بالترجمة الأدبية التي ساهمت في دفع حوار الثقافات وتنشيطه، "وهو حوار تشكل الترجمة الأدبية أحد مقوماته الرئيسة .فمن خلال الآثار الأدبية المترجمة تتعرف الشعوب على بعضها البعض،وتصحح الصورة القواليبية المشوهة التي كونها كل شعب عن الشعوب الأخرى،وتزيد من قدرتها على التفاهم والتعايش السلمي، ويتعاظم ذلك الدور بتعاظم دور نقد الترجمة الأدبية ." ( عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

ولاشك أن الترجمة الأدبية تختلف اختلافا جوهريا عن الترجمة العلمية،ففي الأولى يسعى المترجم إلى تحقيق هدف جمالي من خلال أشكال متعددة للتعبير،ومن هذا الباب فإن المترجم لا يكون أمينا لما يحمله الدال من دلالة ثابتة،بل يسعى للبحث عن الشكل الذي يمكنه من تحقيق الصورة الجمالية دون الوقوف على الدلالة الحقيقية للمدلول الذي يظل دوما عائما على حد تعبير 'رولان بارت'. بينما يسعى مترجم النصوص العلمية إلى الموضوعية والتزام الدقة والأمانة، مع مراعاة ترتيب عناصر النص بالطريقة التي

رتب بها في الأصل، حتى لو تنافى ذلك مع جمال الأسلوب ومنطق اللغة الهدف." ومن هذا الموقع يلتزم المترجم بالأمانة وانتقاء الدال الذي يحمل دلالة ثابتة .ومن الواضح أن هذا المسعى يقيد إلى حد كبير حرية المترجم في التعامل مع النص، ويطمس كل ما يدل على شخصيته، ومع ذلك فإن التزام الدقة والأمانة شرط أساي من شروط الترجمة العلمية.ويكفي للدلالة على ذلك أن نشير إلى الآثار التي قد تترتب عن الترجمة الخاطئة لطريقة تركيب دواء ما أو طريقة تشغيل جهاز كهربائي ما."(أحمد علي، 11757. www.adab-sy.com)

إن مترجم النصوص العلمية مطالب بالتزام الدقة والأمانة في الترجمة، فهو يتعامل مع كم كبير من المصطلحات والكلمات التي تحمل معها تاريخا طويلا من الدلالات التي تمظهرت في سياقات لا محدودة ،ويسعى المترجم إلى إيجاد أو حتى خلق مقابل لها في اللغة ـ الهدف.ومع ذلك فإن مترجم النصوص الأدبية يحسد مترجم النصوص العلمية، لأن هذا الأخير لا يواجه غير مصاعب تتعلق بمفردات اللغة، في حين أن الأول يحتاج إلى معرفة اللغة ـ الهدف معرفة عميقة، كما يحتاج إلى خيال خصب شأنه في ذلك شأن الأدباء عامة ." (أحمد علي، 11757. www.adab-sy.com)

يتمتع مترجم النص الأدبي بقدر كبير من الحرية في التعامل مع النص الذي يترجمه،ومرد هذه الحرية إلى المدلول العائم الذي تفرزه الصياغة الأدبية ،وهو وإن كان يراعي الدقة والأمانة في الترجمة،فإنه يتصرف في النص بطريقة ما ، ليعيد كتابته في صياغة جديدة دون أن تترتب عن ذلك أية آثار سلبية من الناحية العلمية. فالحرية التي يتمتع بها مترجم النص الأدبي لا تعني إطلاقا أن الترجمة الأدبية سهلة،بل هي من أصعب أشكال الترجمات ،لأنها تعتمد بصورة كبيرة على التذوق واقتحام خيال المبدع،فضلا عن مرونة تامة في التعامل مع مداليل عائمة لا تعرف الثبات على الإطلاق ، ولا يمكن القبض عليها. ومن هنا بات أكيدا على المترجم الأدبي أن يتميز **بروح إبداعية** لتكون صورة الترجمة والمادة الأدبية إبداعية فنية غير حرفية ،ويختلف عن المترجم المهني الذي يعتمد على ما تحصل عليه من مكتسبات معرفية ومهارية . وإذا كان المترجم شاعرا،" ستتغير كثير من الصور والمعاني ،دون المساس بجوهر النص المترجم."( حسين رشيد،3154. www.adabfan.com)

أكد الباحثون المشتغلون في حقل الترجمة الأدبية، أن ترجمة النص الأدبي يجب ألا تخرج عن الإطار الأصلي للنص الأدبي بحيث توهم قارئها أنه أمام الأصل لا الترجمة، ولا يفهم من ذلك أن تكون هناك ترجمة كاملة ونهائية للنص الأدبي.فمثل هذه الترجمة المطلوبة نظريا، مستحيلة من الناحية الإجرائية ،وهذا ما يتيح إمكانية ترجمة النص الواحد إلى اللغات نفسها مرات كثيرة.إن استحالة الترجمة المتكافئة تماما لا تنفي إمكانية الترجمة ، بل تجعل تعدد ترجمات النص الواحد أمرا ممكنا.لقد كانت الترجمة الحرفية، وستظل، هدفا مغريا تعزز هجمات النقاد، ولكن لابد من الإقرار صراحة أن ترجمة رفيعة المستوى فنيا، ولا تتطابق تماما مع النص الأصلي، هي خير من ترجمة حرفية رديئة من الناحية الفنية.فالحرفية لا تنتج إلا نصا مثيرا للضجر." (أحمد علي، 11757. www.adab-sy.com)

إن الترجمة الحرفية للنص الأدبي منبوذة، خانقة لحرية المترجم قاتلة للمدلول العائم، فهي لا تصل بالنص الأدبي إلى الضفة الأخرى من النهر بسلام كما تقول " سلين راسن" :" يقف المترجم بين ضفتين ..وتتمثل مهمته في نقل النص كاملا إلى ضفة أخرى ،فهو يمسك بكائن حي على إحدى الضفتين وعليه أن يقوده حيا، لا عاجزا ولا مبتورا إلى الضفة الأخرى."(محمد مولود فاقي، 19209 /www.thawra.alwehda.gov.sy) ومن هنا كانت الحرية مطلبا أساسيا لمترجم النص الأدبي، الذي باستطاعته التصرف في النص بطريقة ما وحذف شيء هناك..بل باستطاعته إعادة كتابة النص في صياغة جديدة ." (محمد مولود فاقي،19209 /www.thawra.alwehda.gov.sy)

وإذا كانت الترجمة الحرفية للنص الأدبي تفقده كثيرا من مزاياه كما أومأنا منذ حين، فإن الترجمة الأدبية الخالصة تضع المترجم في مصاف المبدعين،بل تجعله مبدعا كباقي المبدعين في كل ما يترجم من نصوص. إن الترجمة الحرفية للنص الأدبي شهادة عن إعلان وفاته وتشويه جسده، وفقده الكثير من صوره ومزاياه: هويته، روحه.وفي هذا السياق أكد ' رسول حمزاتوف' " أن الترجمة الحرفية هي إنسان

انطفأ النور في عينيه وتوقف وجيب قلبه.." (محمد مولود فاقي، www.thawra.alwehda.gov.sy/ 19209)ولكن لا ينطفئ هذا النور ،ولا تتوقف نبضات القلب، على المترجم أن يتحلى لا بمعرفة دقيقة وشاملة باللغتين بل بمعارف وثقافة عميقتين، عليه أن يكوم مثقفا وأن يقرأ كل ما أنتجه الكاتب الذي يترجم له ويعرف طباعه وما يحب وما يكره."( محمد مولود فاقي، www.thawra.alwehda.gov.sy/ 19209).

لا يمكن أن نطمح إلى ترجمة أدبية إبداعية راقية، ما لم يواكبها **نقد للترجمة الأدبية** الذي يعول عليه في ترقية هذا النوع من الترجمة.وقد كشف الدكتور عبده عبود عن وظيفة نقد الترجمة الذي رآه " لا يختلف من حيث المبدأ عن وظيفة النقد الأدبي، وتتلخص تلك الوظيفة في غربلة النصوص الأدبية المترجمة ومن خلال ذلك الفرز يمكن تحقيق هدفين: أولهما إرشاد المتلقي أو القارئ إلى الترجمة الجيدة ليقوم باستعمالها،وتحذيره من الترجمة الرديئة كي يتجنبها (وثانيهما) يتعلق بالمترجم نفسه ،فالنقد يهديه إلى مواضع القوة والجودة في ترجمته ليتمسك بها ويعززها ،ويدله على مواطن الضعف والفشل والرداءة في ترجمته." ( عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99).إن صفة الإبداع التي تطمح إليها الترجمة تبدأ من البداية أي حين يختار المترجم النص الأدبي للترجمة، فعملية الاختيار ليست عبثية أو اعتباطية..فلا شك أن النص خاطب مشاعر المترجم وحرك عملية محاورة بين النص والمترجم." (مسك ميمون، mastak.maktoobblog.com/346813)

ومن هذا المنظور فإن الترجمة الأدبية لا يمكن فصلها عن الحقل الإبداعي، لأنها بكل بساطة إعادة خلق للأصل ،إنها خلق لوحدة جديدة بين المحتوى والشكل على أساس اللغة ـ الهدف ،فلا تقاس جودة الترجمة الأدبية بالتزامها بالأصل وحده، فهذا سقوط حر في دائرة الترجمة الحرفية ، بل بالتزام النص المترجم بقوانين اللغة التي كتب بها وبروحها أيضا، وبهذا تتموضع الترجمة بين العلم والفن." ومن البديهي أن المترجم ليس شريك الكاتب في إبداع النص ،ولكنه كاتب باللغة التي ينقل إليها. فإذا كنت تترجم من الفرنسية إلى العربية، لا يكفي أن تعرف الفرنسية، بل لابد أن تكون كاتبا مبدعا باللغة العربية أيضا." (أحمد علي، www.adab-sy.com .11757)

لأجل ذلك عدت الترجمة الأدبية إبداعا بطريقة أو بأخرى ،وفي هذا السياق تفهم مقولة كاتبة ومترجمة من (كيبك)عند ما طلب منها تعريف الترجمة الأدبية : أتمنى أن يكون مترجم النص الأدبي كاتبا أو أن تكون له على الأقل رؤية الكاتب وإدراكه،وأن يحل بطريقة ما محل الكاتب الذي يترجم لا كلمات فحسب،وإنما إحساسه وردود فعله أيضا ، وقد يكون المترجم ممتازا،لكنه أبعد ما يكون عن ترجمة الأدب ترجمة جيدة،لأن الآخر في هذه الحالة لا يتعلق بالالتصاق بالنص، وإنما الالتصاق بفكر الكاتب." ( محمد مولود فاقي،www.thawra.alwehda.gov.sy/ 19209)

إن الترجمة الأدبية تقتضي معرفة تامة باللغتين وبمعارف ثقافية وحضارية عميقة فضلا عن الإطلاع الواسع ،بل كفاءة وحسا أدبيا وفنيا .يقول ' كونبر' : "إن الترجمة الأدبية عملية تعاون عاطفي.ولا يكفي أن يكون المترجم مميزا لكي يوفق في نقله للأعمال الأدبية إلى لغة أخرى، لأنه في حاجة إلى شيء آخر وهو موهبة الفنان المبدع.ويرى البعض أن الترجمة فن من أصعب فنون الكتابة ذاتها، وأنه إبداع حقيقي. فمترجم النص الأدبي بحاجة إلى معرفة اللغة التي يترجم إليها معرفة عميقة،وإلى خيال خصب يمكنه من تصور النتائج التي يستخلصها من تلك اللغة.والإبداع يعني المقدرة على التخيل وعلى الحلم، وعلى المترجم معرفة الكاتب أو المؤلف معرفة حقيقية يعيش ضمن أحاسيسه ومشاعره، وعندما يكون الالتحام والانسجام تاما بين الكاتب والمترجم يكون النص المترجم في مرتبة تجعله يبدو أجمل من النص الأصلي." ( محمد مولود فاقي،www.thawra.alwehda.gov.sy/ 19209) وحتى تبلغ الترجمة الأدبية هذا الطموح، فإنها تكون قد تخطت إشكالية الدال الثابت والمدلول العائم.

تطرح ترجمة الشعر صعوبة بالغة التعقيد ،وهي صعوبة مزدوجة ينبغي أخذها في عين الاعتبار، تتمظهر في المعنى والأوزان .فإذا تم الاكتفاء بترجمة المعنى (الدلالة ) فسحب ، كما هو الحال في بعض

الترجمات التطبيقية لنص شعري فرنسي ترجم إلى كثير من اللغات ،لم يكن في نهاية المطاف سوى ترجمة حرفية لمحتويات دلالية."(Georges Friedenkraft,2010, :51/55)

إن معيار الجودة في الترجمة الأدبية هو الاختصاص في الترجمة، فلا يوفق المترجم في ترجمة الشعر ما ظل يتعاطى مع ترجمة المصطلح العلمي الدقيق.فهناك إجماع شبه تام على أن ترجمة الشعر يجب أن تتم على يد شاعر يحافظ بذائقته الشعرية على المشاعر والأحاسيس والعواطف.. ومن الواضح أن ترجمة الشعر تخضع لقواعد وقوانين خاصة مستمدة من الشعر ذاته.و لا نبالغ إذا قلنا إن لكل نص شعري قانونا خاصا وطريقة خاصة لترجمته.

وعلى مترجم الشعر أن ينقل روح النص ، وأن يحوله بدلا من أن يترجمه حرفيا.وعلى العموم يجب أن يكون مترجم النصوص الشعرية كاتبا أو شاعرا إلى حد ما." ( Georges Friedenkraft,2010, :51/55)

وبهذا يضمن المترجم الجودة في الترجمة الأدبية ، فلا تؤدي الترجمة دورها إلا بجودته ،"فالترجمة الجيدة تمكن المتلقي من أن يستقبل العمل الأدبي المترجم بصورة سليمة ،ومن أن يكون لنفسه صورة صحيحة عن أدب الشعب الأجنبي الذي ينتمي إليه ذلك العمل. أما الترجمة الرديئة فهي تشوه العمل الأدبي وتحرم المتلقي من استيعابه بصورة سليمة. فالترجمة الرديئة تقدم للمتلقي صورة مشوهة عن الآداب والثقافات والمجتمعات الأجنبية التي تنتمي إليها الأعمال الأدبية المترجمة، وبذلك تسيء إلى الثقافة الأجنبية المرسلة،لأنها تقدم صورة مشوهة عنها،وتسيء أيضا إلى الثقافة المستقبلة لأنها تنقل إليها روائع الأعمال الأدبية الأجنبية مشوهة ومقزمة'.ومن هنا يبرز السؤال التالي:هل بوسع أي مترجم أن يمارس الترجمة الأدبية ما دام المدلول في النص الأدبي عائما لا يستقر على حال. فما السبيل إلى ترجمة أدبية إبداعية .؟

وحتى لا تسقط الترجمة الأدبية في الرداءة المفترضة، كان ولابد من تحديد إستراتيجية لترجمة أدبية تراعي الجوانب العلمية والفنية والمهارية .وقد حدد 'Gedeon Toury ' إستراتيجيتين لترجمة ممكنة(فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm) الأولى محض لسانية وحرفية تعطي الأولوية للكلمة والسياق الضيق.. غير أن الانشغال الفيلولوجي، هنا، ليس كافيا، إذ أن المقابلات المعجمية والتركيبية تعتبر،حتى بين لغات متجاورة ،مسألة صدفوية، وتزداد هذه الصدفوية حدة عند بلوغ درجة معينة من تشييد اللغة وتلك دائما هي وضعية الأدب الذي يعد فيه المعنى المباشر أقل من الوظيفة المجازية حيث ' الوردة' ليست 'زهرة ' فقط ،بل هي أيضا رمز وجود ألفاظ أو بنيات مماثلة ظاهريا في اللغة ـ الهدف، لا تعني بالضرورة أنها متكافئة المعنى أو الاستعمال."( سمير جريس،www.ar.qantara.de.htm16 )

أما الإستراتيجية الثانية التي أشار إليها ' توري' فهي تتعلق بالترجمة الأدبية ،ذلك أن هذه لا يمكن أن تكون إلا نتاجا لعمل آخر،أي لنص مستقل له نفس الوضع الاعتباري ،ليس الأساسي، في هذه الحالة ،هو استنساخ الأصل،بل هو نتاج أصل جديد يحل محله .إن ' فاوكتا فيوباث'،الذي ترجم عدة شعراء انطلاقا من لغات لا يعرفها فضلا عن ذلك ، يعلن أن هدفه لا يكمن في الاقتفاء الدقيق لتعرجات القصيدة الأصلية،بقدر ما يكمن في خلق قصيدة مماثلة،وأنه يكفيه لتحقيق ذلك ،أن يتوفر في الصينية أو اليابانية ،مثلا، على مجرد نقل لموضوع القصيدة وفكرتها.( فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm) ونفترض مثل هذه الاستقلالية ترتيبا للأولويات،وهي اللغة ـ الهدف تتقدم على اللغة ـ المصدر ،والأدبي يتقدم على المفهومي،والملامح العامة تتقدم على جزئية التعبير .وضمن هذا المنظور،فإن دقة المعلومة أقل من خلق مفعول كفيل بإثارة رد فعل عاطفي وانفعالي جمالي قريبين من المفعول ولانفعال اللذين يولدهما الاتصال بالأصل. ( جوئيل رضوان،2010،:33).

**ثالثا ـ مزالق الترجمة الأدبية**

لا شك أن الحديث عن الترجمة الأدبية مرتبط ارتباطا وشيجا بالإشكاليات والمزالق التي تترتب عن هذا النوع من الترجمة ،لأن " الترجمة هي النشاط الوحيد الذي يطرح ،من جهة قابلة التساؤل حول

إمكانية ممارسته.. حقا لقد بدت الترجمة أحيانا بوصفها سلاحا ذا حدين :لقد أساء خبرالـ SMS الذي ترجم بشكل ( Adjudant الكلمة الفرنسية التي تعني الجندي Subalterne " = الجندي المأمور والذي هو تحت إمرة ضابط سام ،لكنها تعني في الألمانية " صاحب الدرجة العالية ")إلى كرامة الفرنسيين كما كان رغب في ذلك 'بيسمارك' وساهم في إشعال حرب 1870 ،إن العبارة القديمة ' Traduttore traditore =' المترجم خائن خوان ) لا تزال تشكل تهديدا في ذهن المترجم ." ( مسعود عمشوش،www.anaween.net.167). وتدل هذه المقولة أن كل ترجمة تخون المؤلف الأصلي، فضلا عن نصه، وفكره، وأسلوبه، ويعود ذلك إلى الاختيارات التي تقدم للمترجم التي عادة ما يضحي بها، إما بالوضوح أو الاختصار (أحمد علي، 11757. www.adab-sy.com) .

انطلاقا مما بينا آنفا ، فإن الترجمة بشكل عام والأدبية بشكل خاص تطرح إشكاليات ومزالق،وقد تؤدي في كثير من الأحيان إلى ما لا تحمد عقباه. فالترجمة مدانة منذ القديم ،حينما تخضع للعشوائية ، وعدم التكافؤ المطلق،ذلك "أن عملية الترجمة بين اللغتين احتوت على فقدان ما ينتقص من كمالها ،هناك خيانة ،فالترجمة لا يمكن أن تنقل ذلك السحر بسبب إبعاد النص من سياقه الأصلي ،فهناك فقدان حتمي لا مفر منه،وهذا الفقدان يمكن أن يبرر مقولة أن أية ترجمة هي بالضرورة خيانة،ويكمن أن أشير هناك إلى أن علم الترجمة يقر بعدم وجود " التكافؤ المطلق في الترجمة الأدبية "، ويقع تعويضه بمفهوم ( التقارب ) أو ( التعادل النسبي) أو( الديناميكي)". (http://wikipédia.org./wiki) ويتهم النقاد المترجم بالخيانة، إما بمحاولته إنزال المؤلف إلى القارئ أو رفع القارئ إلى المؤلف كم تصور ذلك ' شلايمجر '.ففي الحالة الأولى يخون المترجم العمل الأدبي ، وفي الحالة الثانية يجعل لغته تبدو أجنبية. فالخيانة حتمية ففي كلا الحالتين تبقى الترجمة في أزمتها. وفي اعتقادي تعد إعادة خلق النص الشعري في نظام لغوي آخر مغامرة محفوفة بكثير من المحاذير ـ كما يقول درايدن ـ ." (مسعود عمشوش،www.anaween.net)

إن الإشكال الأساسي الذي تعرفه الترجمة الأدبية بوجه عام، أنها تفقد النص جزءا من أدبيته نتيجة سفره عبر منظومتين مختلفتين، ويعمل المترجم الحصيف على تقليص كم الطاقة المهدرة قدر إمكانه،ولذلك.. لا تتم ترجمة الشعر بنجاح لاعتبارات تتعلق بالمدلول العائم الذي لا يستقر على معنى ثابت، إلا عبر شاعر رفيع في لغة الأصل.وينبغي أن النص الذي يترجمه هذا المترجم الشاعر يمكن أن يكون ترجمة ،ويمكن أن يكون إبداعا جديدا 'يتناص'Intertextualité بشكل ما مع النص الذي حاول أن يترجمه.فالسحر والروعة اللذان تشعر بهما عند قراءة (هاملت ) بالإنجليزية لا يكمنان في المعاني والأحداث أو الأفكار فقط،بل هناك ما يغفلها جميعا ويقولبها ولا تستقيم دونه اللغة نفسها ،كيف كان لـ'شكسبير' أن يبث فيك سحره لولا لغته بتركيبها ونظامها ودلالاتها ،وأصواتها وكذلك السياق." (مسعود عمشوش،www.anaween.net)

وإذا كنا قد أومأنا منذ حين أن ترجمة الشعر لا تتم إلا عبر شاعر رفيع في لغة الأصل، فإن ذلك يعني أن الترجمة الأدبية تعرف أزمة تنبع أساسا من غياب نظرية واحدة في الترجمة.والواقع فإن المشتغل في حقل الترجمة الأدبية يضع لنفسه نظرية خاصة به.ولذا من الصعب أن توجد نظرية واحدة يجمع عليها النقاد والأدباء واللغويون والشعراء.ونتيجة لذلك، تتعدد ترجمة النص الأدبي الواحد، وفي معظم الأحيان يبرز النص الأدبي المترجم مختلفا بدرجة صغيرة أو كبيرة عن النص الأصلي." ( عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

إن الإشارة العابرة إلى نظرية الترجمة تؤدي إلى الوقوف عند نظريتين رئيسيتين في الترجمة، الأولى تؤكد على أهميتها وتؤمن بها،ولكن بشروط ومعايير كثيرة، والأخرى ترى أن ترجمة الأدب ولاسيما الشعر أمر غير ممكن.فالفيلسوف الألماني' إرثر شوبنهاور' لا يؤمن إطلاقا بإمكانية الترجمة الأدبية وخصوصا الشعر،" لا يمكن للشعر أن يترجم ولكن يمكن إعادة كتابته، والذي هو في حد ذاته عمل محفوف بالمخاطر." وبالمثل يعتقد 'مون درايدان' أنه ( لا يوجد من يستطيع أن يترجم الشعر.). وقد عبر 'درايدان' عن رأيه هذا بعد أن أمضى وقتا طويلا في ترجمة أعمال الأديب الإيطالي ' تشوسر' إلى الإنجليزية الحديثة، وهي الترجمة التي لم تحظ بإقبال كبير .ويعتقد 'أنتوين بيرما' أن المترجم يعيد في

الحقيقة كتابة النص الأصلي ،لذا فهو يمكن أن يعد مؤلفا للنص المترجم،والنص المترجم يتضمن أبعادا إبداعية يجب أن تلتصق بالمترجم." (عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

واستخلاصا مما سبق يبرز السؤال التالي، هل يمكن اعتبار النص الأدبي المترجم كتابة إبداعية جديدة للنص الأصلي.؟أم ترجمة تتضمن أبعادا إبداعية .؟والواقع فإن الإجابة عن السؤالين تؤدي بنا إلى تناول مفهوم ' التناظرEquivalence'بوصفه مفهوما إشكاليا.فترجمة النص الأدبي تتقاطع مع الكتابة الجديدة للنص الأصلين بمعنى أن الترجمة الأدبية هي شكل من أشكال التناظر بين النصوص، النص ـ الهدف ،و النص ـ المصدر و" مهما يكن من أمر فإن التناظر في الترجمة مفهوم إشكالي خلافي، وليس هناك إجماع على تحديد مضمونه وجدواه.إن إشكالية مفهوم ما لا تعني بالضرورة أنه غير صالح، ولا يجوز أن تدفعنا إلى الاستغناء، إنه مطلب مثالي..فتخفيف التناظر هو مطلب يجب أن تلتزم به الترجمات علمية كانت أم أدبية..إلا أننا نعرف جميعا أن الكمال غير ممكن التحقيق، وكذلك التناظر في الترجمة.

أما التناظر الممكن فهو الجزئي أو النسبي، وكلما زادت تلك النسبة كانت الترجمة أفضل..وسواء أخذنا بمفهوم التناظر أم استبدلناه واستعضنا عنه بمفهوم آخر كالتقارب،فإننا لا نستطيع أن نتخطى حقيقة جوهرية، ألا وهي أن الترجمة نص صيغ بلغة الهدف وفقا لمعطيات نص آخر صيغ بلغة المصدر الأجنبية.وهو لهذا السبب مطالب أن يتقيد بمعطيات أصله الأجنبي نصا ومعنى وأسلوبا."( عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

وهناك من الباحثين من دعا إلى استبدال مفهوم 'التناظرEquivalence'بمفهوم'التقارب Rapprochement'، ذلك أن الأول لا يمكن تجسيده من الناحية الإجرائية وخاصة في النصوص الإبداعية التي تنغمس في مدلولاتها العائمة، لذا كان التقارب' Rapprochement ' هو المفهوم الأقرب في الترجمة الأدبية. ودعا آخر إلى إعادة صياغة مفهوم 'التناظر'وإلى تحديد محتواه من زاوية أخرى، هي زاوية التأثير على المتلقي.فالترجمة الصحيحة، وفقا لذلك المفهوم هي الترجمة التي يعادل تأثيرها في نفس المتلقي الذي يستقبلها في لغة الهدف، ذلك التأثير الذي يحدثه النص الأصلي في نفس المتلقي الذي يستقبله في لغة المصدر.وقد أطلقت على هذا النوع من 'التناظر' تسمية ' التناظر الديناميكي Equivalence dynamique 'تميزا عن التناظر بالمعنى التقليدي." (عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99) على الإجمال فإن كان التناظر في الترجمة ينطوي على إشكالية كبيرة ،خصوصا في مضمار الترجمة الأدبية ،فإن المطلوب ليس أن يتمظهر في المحتوى فحسب،بل أن يتجسد على المستوى الأسلوبي والجمالي.

إن هدف الترجمة هو إقامة 'تكافؤEquivalence ' بين نص لغة المصدر ونص لغة الهدف ( حتى يغدو النصان بأي شكل من الأشكال لهما نفس المعنى) ،آخذين في عين الاعتبار مجموعة الإكراهاتcontraintes '( سياقية ، نحوية، صرفية، معجمية ، ...) لجعل النص المصدر قابلا للفهم للذين لم يكن لديهم معرفة باللغة المصدر، وبثقافتها وحمولة معارفها." (عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

وتقودنا إشكالية التناظر في الترجمة الأدبية ، وما ينجر عنها من مزالق خطيرة ،إلى إشكالية أخرى لا تقل خطورة على السابقة، وتتمثل في استقصاء الأخطاء الترجمية على الأصعدة التالية : النصية، والدلالية، والأسلوبية، والجمالية ،والتي تسيء إلى الترجمة الأدبية وتؤثر سلبيا على المتلقي وتصبح الشكوك تساوره.

أ ـ الصعيد النصي:

فعلى الصعيد النصي يقوم الناقد باستقصاء ما إذا كان المترجم قد لجأ إلى اختصار النص، وهو أمر كثير الورود في الترجمات الأدبية لأسباب كثيرة ، إما نزولا عند رغبة ناشر، وقد يتم الاختصار ، أيضا ، رغبة من المترجم في إنجاز الترجمة بسرعة، إما ظنا منه أن المواضع المحذوفة غير ذات أهمية ،ولا يؤثر حذفها على القيمة الجمالية والفكرية للعمل الأدبي ..( أو ) لأسباب رقابية .. أو لاعتبارات سياسية أو دينية أو أخلاقية... الخ ،لأن المترجم قد لا يحذف من النص المترجم شيئا ،بل يلجأ على العكس من ذلك إلى توسيعه وإطالته .. فهناك من المترجمين من يظن أن من حقه أن يطور من عيوب وثغرات فنية أو

فكرية.إن مترجما كهذا ينصب نفسه مؤلفا ومشاركا، ويكون دوره أقرب إلى المعد منه إلى دور المترجم. (Anylon(s),2009)"

ب ـ الصعيد الدلالي :

وإذا كان الصعيد الأول قد أبان لنا عن الحالات التي يلجأ إليها المترجم لاختصار النص،فإن الصعيد الدلالي يطرح إشكالية أخرى تتمثل في مدى تقيد المترجم بمعاني النص المصدر وكيفية نقله تلك المعاني العائمة التي لا تستقر على مدلول محدد وثابت إلى لغة الهدف فضلا عن مسألة الدقة والأمانة التي تبقى نسبية ، وهذا أمر مقبول ، مادام الدال في النصوص الأدبية لا يحمل معنى ثابتا ،مما يعني أن تحقيق ' **التناظر** ' الدلالي الكامل بين الترجمة والأصل أمر نسبي أيضا ، ولا يمكن أن تخلو (الترجمة ) من الانحرافات الدلالية ..التي ترجع إما إلى خطأ في فهم النص الأصلي، أو إلى خطأ في التعبير عن المعاني بلغة الهدف، وأشكال إساءة فهم النص الأصلي مختلفة . فقد تتمثل في إساءة فهم مفردة..(أو) إساءة فهم التعابير الاصطلاحية للغة . وقد دلت دراسات نقدية كثيرة على أن إساءة فهم التعابير الاصطلاحية والمجازية يشكل مصدرا رئيسيا من مصادر الخطأ في الترجمة الأدبية ."( عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99) ومن هنا يمكن أن ندرك أن إشكالية الترجمة الأدبية مرتبطة بخطأ في فهم النص الأصلي ، أو خطأ في التعبير عن المعاني بلغة الهدف ، وكل ذلك مرتبط أيضا بإشكالية المدلول العائم الذي لا يستقر على معنى ثابت ومحدد ، الأمر الذي يفسح المجال واسعا لاجتهادات ترجمية لا تليق أصلا بالنص المصدر .

ت ـ الصعيد الأسلوبي:

أما الإشكالية التالية للترجمة الأدبية فإنها تتمظهر على المستوى الأسلوبي والجمالي،وهو أكثر المسويات إشكالية.فالتناظر الذي تنشده الترجمة الأدبية يصعب تصوره على هذا المستوى ،نظرا لما بين اللغات والآداب من اختلافات وتباينات كبيرة على جميع المستويات ،ذلك أنه " لا يمكن القول إن حدا مناسبا من التناظر الأسلوبي والجمالي بين الترجمة والأصل قد تحقق،وبالطبع فإن مشكلات هذا النوع من التناظر تختلف باختلاف الجنس الأدبي' Genre littéraire 'للعمل الأدبي المترجم.فمشكلات التناظر الأسلوبي والجمالي في ترجمة النصوص الشعرية الغنائية الوجدانية تتعلق بصورة رئيسة بمسائل الأوزان الشعرية وموسيقى الشعر والقافية والانزياح 'L'écart 'في اللغة الشعرية ..إلى درجة تسوغ القول بأن هذا النوع من النصوص الأدبية عصي عن الترجمة." (عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

وإذا كانت الأصعدة السابقة ( النص والدلالة والأسلوب ) تختزل الإشكاليات المركزية للترجمة الأدبية، فإن هناك إشكالات خصوصية تتفرع عن ذلك. ومن ذلك إشكالية ترجمة الأسلوب التهكمي والفكاهي والساخر،لسبب بسيط، فما يثير الضحك والسخرية إذا كتب بلغة ما ،قد لا يكون له التأثير نفسه و لا تأثيرا مشابها أو قريبا إذا نقل إلى لغة الهدف بطريقة' أمينة ' ،لأن ذلك التأثير يعتمد على تحريك الأبعاد التراثية واللاشعورية للغة بأسلوب يغلب عليه التلميح والتضمين اللذان يؤديان إلى إطلاق تداعيات بعضها واع والبعض الأخر غير واع ." (فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm)

إن ترجمة نص ساخر ومضحك أو تهكمي بلغة الهدف تعد مهمة بالغة الصعوبة ،بل إن كثيرا من المترجمين من يعترف صراحة بعدم جاهزية الحلول لهذه الترجمة ،وما يبقى على المترجم ـ في مثل هذه الترجمة ـ إلا أن يستخدم قدراته الإبداعية .فالترجمة الأدبية ليست مجموعة من العمليات اللغوية فحسب،بل هي نشاط إبداعي وإعادة إنتاج خلاقة للنص الأدبي في لغة أخرى." (محمد مولود فاقي،www.thawra.alwehda.gov.sy/ 19209) وقد اعتبر البعض أن " العمل الأدبي ،في غالب الأحيان ، غير قابل للترجمة بحجة استحالة إيجاد نسخة مطابقة له،واستحالة عادة إنتاجه مع الحفاظ على كل تشعبات اختياراته الأصلية ، أن يكون المرء يمثل هذا الاستدلال لا يعني فقط أنه يحكم على نفسه بالعجز ،وبإلغاء أية إمكانية للتعرف على الآداب الأجنبية ،بل يعني كذلك نسيان كون العملية الترجمية تقوم ،أصلا، على جدلية التطابق والاختلاف.فلا يمكن ، إذن أن تكون في النص الأصلي والنص المترجم علاقة تطابق،بل بالأحرى علاقة تكافؤ في الوظيفة والإرسالية ."( حسين رشيد، www.adabfan.com .3154)

وإذا كانت ترجمة النص التهكمي والساخر تطرح إشكالية صعوبة الترجمة كما رأينا منذ حين ،فإن هناك إشكالية أخرى تضاف إلى الإشكالات السابقة ،وهي الترجمة الوسيطة .فهل يقبل بهذا النوع من الترجمة التي لم تنجز عن اللغة الأصلية للعمل الأدبي.؟إن هذا النوع من الترجمة مجاز ومشروع عند كثير من المترجمين ،ويمكن القيام به ، ورفضه آخرون لأن فكرة الترجمة عن طريق نص وسيط تتنافى تماما مع الأدب ،بل تعتبر إنكارا للأدب ونفيا له.فمثل هذه الترجمة قد تؤدي إلى ترجمة المعنى لكنها لا تترجم النص .( مسك ميمون، mastak.maktoobblog.com/346813)

وهناك من المترجمين من يقبل بالترجمة عن لغة وسيطة، لكنهم يشترطون على هذه الترجمات أن تحقق التناظر أو التقارب مع الأصل، ولكن مع أي أصل.؟مع الأصل الوسيط ؟أم مع الأصل الأصل .؟( فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm) وهناك من يرى أنه لا يجوز أن يحاسب المترجم على دقة الترجمة وجودتها إلا مقارنة بالنص الذي انطلقت منه،أي بالترجمة الوسيطة( فالمحاسبة تكون ) على مدى تناظر الترجمة التي أنجزها مع الأصل الوسيط، ومن الظلم أن نطالبه بأن تكون تلك الترجمة متناظرة مع الأصل ..أما أصحاب الرأي الآخر فيرون أن الترجمة الوسيطة لا تعنينا في شيء، وما يعنينا هو التناظر بين الترجمة و العمل الأصلي."( محمد اليملاحي،www.alnoor.se,id81336) فماذا يترتب عن الترجمة من خلال لغة وسيطة .؟

" إن ترجمة النص الأدبي عن لغة وسيطة لا عن لغته الأصلية تؤدي بالضرورة إلى مضاعفة الأغلاط الترجمية ،وإلى زيادة ابتعاد الترجمة عن النص الأصلي من لغته الأصلية الوسيطة إلى اللغة الوسيطة،تقع أخطاء ترجمته فتقل أو تكثر حسب جودة الترجمة.وعندما يترجم النص نفسه من اللغة الوسيطة إلى لغة الهدف الجديدة ينطلق المترجم من الأخطاء التي تنطوي عليها الترجمة الأولى ،ويصيف إليها أخطاء ترجمة جديدة."(Paul Valéry, :211) ونحن نرى أنه إذا كان ولابد من الترجمة عن لغة وسيطة ،فإن ذلك يحسن أن يكون بالتعاون مع مترجمين آخرين للتقليص من الأخطاء والأغلاط الترجمية ،ولجعل الترجمة ـ الهدف أقرب إلى النص الأصلي ،وبهذه الرؤية تساهم الترجمة في انتشار وتعميم الفوائد ،وبعث المثاقفة.

إن ترجمة النص الأدبي عن لغة وسيطة قد تؤدي حتما إلى قتل النص الأصلي ،لأن المترجم الوسيط يهمل الشكل الذي ليس حاملا للفكرة فحسب أو المحتوى ،بل هو عنصر أساسي في تشييد الإرسالية . "فلولا جاذبية العبارة لغرقت مسرحية من مسرحيات شكسبير في التجريد الفلسفي ،أو لغرقت إحدى قصائد 'فرلين' في التفاهة .فالشكل والمضمون المترابطان كوجهي العلامة اللغوية ،يتكاملان وينصهران لإعطاء ما يسميه 'فاليري' " تركيب غير قابل للانفصام بين الصوت والمعنى ( جوئيل رضوان،2010،:37) فهل الاعتماد على الترجمة الوسيطة يمكننا من اكتشاف جاذبية عبارة مسرحية شكسبير.

**رابعا ـ نحور رؤية منهجية لترجمة أدبية إبداعية**

إن المترجم الأدبي ليس مجرد ناقل لنص من لغة المصدر إلى لغة الهدف، إنه لا يخرج عن مصاف المبدعين العالميين، لكونه يحمل رؤية للعالم من خلال اللغة التي يوظفها في ترجمته.ومن هذا المنظور نقول إن الترجمة الأدبية تحكمها اللغة كرؤية للعالم من جهة، وحضارة هذه اللغة كمهد لها من جهة أخرى.وبذلك تحقق الترجمة التفاعل التواصلي الذي " يتخذ .. ثلاثة مظاهر هي : التواصل بين اللغة المنقولة واللغة المنقول إليها ، التواصل بين المترجم والمؤلف ،والتواصل بين ثقافتي اللغتين." ( جوئيل رضوان،2010،:38) ولكي تتمظهر الترجمة الأدبية كرؤية للعالم ينبغي أن تتحول الترجمة إلى ترجمة للمعنى والفكرة حسب حكمة ' سان جيروم ' المشهورة : "إن المعنى هو الذي يجب ترجمته ،وكل المعنى وليس الكلمات ." ( جوئيل رضوان،2010،:39) أما' أ.ريتشارد ( المختص في الترجمة من الانجليزية والصينية المتباينتين جدا) يرى بأنه لكي نوفق في الترجمة يجب ابتداع نظام ثالث للتفكير يكون وسيطا ما بين الاثنين الآخرين." ( جوئيل رضوان،2010،:39)

نقول ذلك لأن كثيرا من الترجمات تحكمها رؤية اللغة المصدر ،كمثال على ذلك فإن الكندي الفرنسي حينما يريد أن يتسوق يقول : J'irai magasiner بدلا من J'irai faire des courses / des achats ،وتفسير ذلك أن الكندي الفرنسي وهو يتحدث الفرنسية فإنه يتبع بطريقة لاواعية البنية الإنجليزية : I' ll go shopping ".( جوئيل رضوان،2010،45: )وما يمكن استخلاصه في هذا السياق وهو أن ترجمة الكندي الفرنسي الفرنسية / أو محادثته بشكل عام تتماثل مع بنية الوعي الثقافي واللغوي للغة الإنجليزية ." إن المترجم، حتى وإن كان مبتدئا، يعرف أنه يتعذر ترجمة جملة صغيرة إذا لم ينظر إليه في' سياقها '.وعلى نحو مفرق يجب على المترجم الذي يزن الكلمات أن يكون صاحب مخيال دون أن يكون عبدا له، كما عليه أن يضع نفسه في موضع المؤلف لكي يحيط بالنص المراد ترجمته كما في موضع قرائه. " ( جوئيل رضوان،2010،40: )

وحسب 'الاميرال' فإن الترجمة " عبارة عن دائرة تأويلية " ..تأويل لا يتم بشكل كامل إلا في ومن خلال الإبانة عن الكتابة التي تنتج معنى." (محمد اليملاحي،www.alnoor.se,id81336) ومن هذا الباب نطرح السؤالالتالي : هل الترجمة علم أم فن أم مهارة. ؟لفك هذه الإشكالية تذهب 'جوئيل رضوان ' أن المشكل المطروح على المترجم هو وجوب التمييز بين ما هو من قبيل اللغة (...) وما هو من الشعر (...) ،وإن كنا نجد أن كثيرا من المترجمين ينتصرون للترجمة العلمية ،وهذا 'نابوكوف' ينتصر لترجمة ذات غاية تعليمية أو علمية 'Traduction d'érudition ' ،ولو أنه في ممارسته الترجمة ،لا يعتمد مبادئه هذه :فهو يلجأ إلى التحسين أو إعادة الصياغة كثيرا عندما يترجم أعماله إلى الإنجليزية أو الفرنسية ". ( سمير جريس،www.ar.qantara.de.htm16)

يربط اللغويون الترجمة بالتواصل ،ومنهم 'بلومفيلد 'الذي أقر باستحالة الترجمة عندما ينعدم التواصل الحقيقي،ومن بين العقبات اللغوية التي تقف في وجه التواصل يذكر بخاصة :

أ ــ رؤية العالم المختلفة ( مثلا الكلب في نظر الإسكيمو حيوان مفيد، ومقدس عند الفارسي، ومكروه عند العربي، ورفيق بالنسبة للأوروبي"( غسان كامل نعوس،www.reefnet.gov.sy135)

ب ــ المفردات، فإن الحقل الدلالي يتغير كثيرا من لغة إلى أخرى.مثلا ففي الإسبانية في الأرجنتين 200كلمة لوصف شعر الحصان ،مقابل 12 في الفرنسية ، ومن ثم فإن كل ترجمة ينجر عنها فقدان' Perte ou entropie '.

وبغرض تحديد رؤية منهجية لترجمة أدبية إبداعية حدد محمد اليملاحي المبادئ الخاصة لهذه الترجمة ، " التي تنصرف إلى البنيات اللغوية للغتين المنقولة والمتلقية ،سواء تعلق المر ببناء الكلمات أو الجمل أو النصوص بصفة عامة ،وذلك في علاقة تلك البنيات بمعانيها .ويعمل المترجم وفق مجموعة من القواعد ،أو بالأحرى القيود التي تملى عليه من اللغتين:

أ ــ مراعاة قيد التخصص: ويتلخص في أن يقوم بالترجمة مختصون في المجال المعرفي الذي ينتسبون إليه، ضمانا لدقة الترجمة ومصداقيتها، لأن لكل مجال مصطلحاته ومعجمه وربما تراكيبه أيضا.

ب ــ مراعاة الدلالة والتداول: وتتفرع عن هذا القيد مجموعة من القيود الفردية:

ــ رفض دعوى الترادف .

ــ مراعاة السياق.

ج ــ قيود تركيبية وصرفية : يرى القاسمي أن " على الترجمة أن تحافظ على صيغ القول حتى لو كانت النتيجة واحدة ، خاصة صيغة الفاعلية والمفعولية ،وصيغة المبني للمعلوم ،والمبني للمجهول ،وضيفة الكلام المباشر، والكلام غير المباشر، من أجل المحافظة على خصائص أسلوب المؤلف الأصلي ومقاصد التداولية ." ( غسان كامل نعوس،www.reefnet.gov.sy135)

وجميل جدا أن نحدد المبادئ الخاصة التي تتطلع إلى ترجمة دقيقة ذات مصداقية ، لكن الأجمل من ذلك أن ننظم سوق الترجمة التي تعرف نوعا من الاضطراب والفوضى .فمن يفرض شروطه على المترجمين يا ترى. وهل توجد مؤسسة عربية تشرف على تنظيم الترجمة وفق أهداف إستراتيجية قومية.؟

إن واقع الترجمة في العالم العربي يؤكد أن قانون العرض والطلب يفرض شروطه على المترجمين العرب. فالدوافع الذاتية، سواء كانت دوافع المترجم أو الناشر تهيمن على توجيه الترجمة، وتدفع المترجم

إلى اختيار الأعمال ' الإكزوتيكية Exotique' (الغريبة )وحدها.؟ ومن هنا بات لزاما على أن تتكفل المؤسسة الرسمية العربية بقضايا الترجمة بتحديد أهداف إستراتيجية متوسطة وبعيدة المدى."فـ" لماذا لا تشرف الجامعة العربية ـ كما اقترح نجيب محفوظ منذ سنوات ـ على ترجمة الأعمال الأدبية القيمة إلى اللغات الأخرى.؟لماذا لا نختار من المترجمين من نشهد لهم بالكفاءة والنزاهة ونكلفهم بترجمة أعمال بعينها.؟ ولماذا لا نتوجه إلى دور النشر الأجنبية ونقدم دعما ماديا للأعمال التي نراها جديرة بالترجمة.؟ " (عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

إن الدور العربي المؤسساتي الذي نطمح إليه أن يتصدر الريادة في توجيه المترجمين إلى ترجمة أعمال أدبية وفق إستراتيجية محكمة ،غائب أو مغيب.فأين الدور العربي في قضية ترجمة أدبنا إلى اللغات الأخرى.؟هل وضع الناشرون العرب والمنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم مخططات جادة لتقديم ثقافتنا العربية بالصورة اللائقة .؟ هذه هي الأسئلة الأساسية التي ظلت تبحث عن إجابة شافية ومقنعة ، ما دامت المؤسسة الثقافية العربية الرسمية لا تلعب دورها كاملا لترقية نهضة حقيقية في الترجمة، نهضة " تحتاج إلى ظروف أخرى تتعلق بالبيئة التي تترجم ، أو تهتم بالمترجمين ، تشجعهم ،وتوجههم، وتحترمهم ،كما يحتاج الأمر إلى تسويق حقيقي يؤمن إيصال النتاج إلى المتلقين ، أو على الأقل تأمين عرضه أمامهم ،مع الخبرة في ذلك ،وتأمين حملة إعلامية من أجله" (عبده عبود، www.awu.dam.org/book/99)

إن الخروج من هذه الوضعيات المتردية تحتم على القائمين بأمر الثقافة في الوطن العربي أن يصححوا المفاهيم الخاطئة التي تقف حجر عثرة في طريقة نهضة حقيقية في الترجمة .يجب أن يزول عن الأذهان أن الترجمة الأدبية ليست ترفا فكريا أو هواية أو مضيعة للوقت وهدرا له، كما أنها ليست " خيارا ،ولا نشاطا ذاتيا أو عملا فرديا مرهونا بالهواية ، والوقت المتاح ،

والفائدة الممكنة للنشر والمصادفة في الحصول على المادة .إنها قدر لابد من التخويض في فضاءاته، والسعي لأن يكون أكثر فائدة وجدوى. ولابد من أن تقوم به مؤسسات قادرة تعتمد في عملها على برامج وخطط لترجمة الأجناس الأدبية المتنوعة ،وعرض النظريات والرؤى النقدية الحديثة ،ورصد مختلف المستجدات في ميادين الثقافة العالمية ،والوصول إلى آداب غير معروفة لدينا، أو غير متوفرة للقارئ العربي منقولة عن لغاتها الأصلية لا عبر لغات وسيطة وظروف مختلفة دون أن تصرف الجهد في تكرار النصوص الإبداعية ." (فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm)

وإذا كانت الترجمة الأدبية الواعدة تقتضي ملاحقة الأفكار الخاطئة، فإن تحديد مفهوم دقيق لطبيعة الترجمة الأدبية يعد سلاحا نافذا في يد المترجم ،وأداة أساسية من أدوات نظرية الترجمة التي ينبغي له أن يمتلكها . فلا يعقل أن ننتظر من المترجم إنجاز ترجمة أدبية إبداعية وفي ذهنه مفهوم مضطرب عن الترجمة الأدبية،' وهو مفهوم تزوده به نظرية الترجمة . ومن المعروف أن لب تلك النظرية هو مفهوم التناظر' Equivalence ' أو التعادل أو التكافؤ بين النص المترجم باللغة الهدف، وبين أصله في اللغة المصدر الأجنبية ". (فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm)

وبضبط المفاهيم يكون المترجم قد حدد ملامح رؤية منهجية لترجمة إبداعية تؤطرها نظريات الترجمة وأساسياتها. فالإحاطة الجيدة بنظريات الترجمة ' تزوده بأدوات ومفاتيح نقدية لا غنى عنها .إن النقد لا يستطيع أن ينقد ترجمة أدبية ما لم يكن على سبيل المثال ، ملما .. بنظريات التناظر.. مطلعا على اللسانيات التطبيقية باعتبارها أكثر فروع علم الترجمة الحديث اهتماما بالترجمة ،وبعلم الأسلوب والشعرية ونظرية الأدب وكل تلك العلوم ذات الصلة بالأدب واللغة والنقد ..ناهيك عن إحاطته بأي لغة المصدر ( اللغة الأجنبية )،ولغة الهدف ( اللغة الروحية )." (فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm)

إن الترجمة الأدبية التي نطمح إليها تأخذ في الحسبان احترام عدد من الثوابت مع مراعاة خصوصية النص الأدبي بوصفه دوال ثابتة تحمل مداليل عائمة لا تستقر على معنى ثابت أو محدد.هذه هي الرؤية المنهجية التي ينبغي احترامها عند ترجمة النص الأدبي:' إن الحفاظ على سلامة العمل الأدبي ،يمر بواسطة احترام عدد معين من الثوابت تعتبر في مجملها غير لسانية ، لنذكر مرة أخرى أنه من الضروري

أن يحافظ النص بوصفه الاعتباري الأدبي ، وبطابعه الجمالي ، وأن يكون الأثر الناتج عن وحدة الشكل والمعنى ،قبل أي اعتبار آخر،هو الهدف النهائي للتحويل، و ينبغي كذلك ألا يتم المساس بالقضايا الكبرى كالحبكة والموضوعية أو البنية ،وذلك حتى لا يضر غياب الشكل كثيرا بتكافؤ المعنى ." ( جوئيل رضوان،2010،:84)

إن الدعوة الملحة لاحترام الثوابت لا تعني البتة أن تبقى الترجمة الأدبية حبيسة النص المترجم ،يخضع لإجراءات ضيقة فالاقتباس الذي يتوفر عليه النص الأصلي قبل ترجمته ينتمي إلى مقاصد أخرى ، يمكن المحافظة عليه قدر المستطاع في التربية الأصلية ليتوسع الأفق الثقافي للنص الهدف.إن الترجمة الأدبية المنشودة، ' الترجمة المفتوحة ..تاركة للنص أكبر عدد ممكن من احتمالات معانيه.ينبغي على المترجم خلافا للناقد أو للمؤول اللذين بإمكانهما اختيار هذه الوجهة في القراءة أو تلك ، أي يحترس من الانحياز ، ومن إعطاء نظرة اختزالية من شأنها أن تحد فيم بعد حقل الإيحاءات الممكنة ." (فوتوناطو إسرائيل www.amjabri abed.htm)

إن الترجمة رؤية للعالم ،لأنها ليست مجرد منتوج من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف ،إنما هي تعبير عن طموحات المترجم ،التي هي طموحات الفئة أو الزمرة أو الثقافة أو الأيديولوجية التي ينتمي إليها، فاللغة التي يستعملها في ترجمته ليست بريئة عن رؤيته ، ذلك أن المترجم يختار من اللغة الهدف ما يمكنه من التعبير عن هذه الرؤية .ولا غرو إن وجدنا من يجعل المترجم في المراتب العليا لرجال الدين الروحيين ، " وهذا ما جعل 'ف. لاربو ' يصف المترجم بالقديس الذي يحدوه نكران الذات والحكمة .مع أن المترجمين الأدبيين ظلوا طويلا يحلمون بترك أعمال خالدة ،وهو أمر مستحيل ،ذلك أن أذواق الجمهور ووسائل تعبيرهم تتغير وتصاب بالشيخوخة ." (جوئيل رضوان،2010،:48 )

ولما كانت النصوص تصاب بالشيخوخة، فإن الترجمة تصاب، أيضا، بالشيخوخة، وتصبح غير صالحة للقراءة." فلما كانت الترجمة إنتاجا مطاوعا لأيديولوجية ما،

فإنها لا تقبل ( لا تقبل القراءة ' Elle n'est plus lisible ' ) متى تغيرت هذه الأيديولوجية.فـ' دون كيخوته ' الذي ترجمه فلورين قد طواه النسيان ، كما هو الحال بالنسبة لكتاب الجحيم ( l'enfer ) لـ'دانتي ' الذي ترجمه 'ريفارول.إن ترجمة مسرحيات 'شكسبير ' التي قام بها 'فولتير' أصبحت طرائف تاريخية كما هو الشأن بالنسبة لترجمة ف .ف . هيجو'." (جوئيل رضوان،2010،:49 )

**خاتمة :**

وصفوة القول فقد استخلصت هذه الورقة ،التي تركزت حول الترجمة الأدبية وإشكالياتها بين الدال الثابت والمدلول العائم ، مجموعة من الملاحظات والتصورات المنهجية للنهوض بهذا النوع الترجمة .ذلك أنه لا يمكن أن نطمح إلى ترجمة أدبية إبداعية راقية ما لم تتفاعل عدة عوامل وهي العلم والفن والمهارة ،وما لم يواكبها نقد للترجمة الأدبية الذي يعول عليه في ترقيتها .فالترجمة بدون نقد موضوعي فعال يوجهها ويضبط مساراتها ،تعد ترجمة عشوائية ، فالمترجم الكبير لا يقل شأنا عن المبدعين ،بل هو واحد منهم،لأنه يعيد خلق النص الأدبي ،لأجل ذلك عدت الترجمة الأدبية إبداعا ،ولن يتأتى ذلك إلا من خلال معرفة دقيقة وتامة باللغتين فضلا عن معرف ثقافية وحضارية عميقة ، ودراية كاملة بالفن ،ومهارة متواصلة في الحقل.

ولا شك أن الترجمة الأدبية تعد من أعقد وأصعب أنواع الترجمات، لأجل ذلك ارتبطت بها مجموعة من الإشكاليات كان ولابد أن تؤخذ في عين الاعتبار عند كل ترجمة أدبية تطمح أن تكون جادة.فلا تتحقق الترجمة التي نطمح إليها إذا لم يتم التركيز على المدلول العائم الذي لا يستقر على معنى ثابت، والذي لا يدرك كنهه إلا الأديب المبدع، فأزمة الترجمة الأدبية ناتجة عن غياب نظرية في الترجمة مما نتج عنها أخطاء ترجمية على عدة مستويات (نصية ، دلالية ، أسلوبية )، فضلا عن خصوصيات تتعلق باللغة المصدر .لذلك تقتضي الترجمة الأدبية تعاونا متواصلا بين المترجمين ليتمكنوا من احتواء الإشكاليات والمزالق التي تنجر عن الترجمة الأدبية .

إن المترجم الأدبي الذي ترتضيه الترجمة الأدبية المبدعة ليس مجرد ناقل للنص الأدبي ، إنه حامل لرؤية للعالم ، وهي رؤية ليست خاصة به ،بل بالزمرة التي ينتمي إليها المترجم ، ولن تتحقق هذه الرؤية

ما لم يتم التكفل الرسمي بترجمة الأعمال الإبداعية الرائعة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تقف حجرة عثرة في وجه الترجمة الأدبية التي نطمح إليها ، وتحديد مفهوم دقيق لها الذي يأخذ في الحسبان الثوابت مع مراعاة خصوصية النص الأدبي بوصفه دوال ثابتة تحمل مداليل عائمة .

**المـــــــراجـــــع :**

1 ـــ أحمد أمين ،ضحى الإسلام ، ج3 ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ط 10
2 ـــ أحمد علي ، الترجمة الأدبية http:// www.adab-sy.com/ foroms/ show hiread.php,t11757 =
3 ـــ أحمد يوسف سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات،2004 ، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران ، ط1
4 ـــ الجاحظ ، كتاب الحيوان، 1969،ج 1 ،تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان
5 ـــ جوئيل رضوان ، موسوعة الترجمة ، ترجمة ، محمد يحياتن ،2010، منشورات مخبر اللممارسة اللغوية ، جامعة تيزي وزو
6 ـــ حسين رشيد ، الترجمة الأدبية ، http:// www.adabfan.com/ criticism/ 3 154 .html
7 ـ دليلة مرسلي، فرانسوا شوفالدون، مارك بوفات ، جان موطيت ،تر ، عبد الحيمد بورايون مدخل إلى السيميولوجيا ،1995، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر
8 ـــ سمير جريس ، الحياة ، 4/ 12/ 23003 ، : 16 ،http : //www.ar.qantara.de/wegcom./show- articles.php/ -c-337/-nr-22/i.htlm

9 ـــ عبد الجبار القاضي أبو الحسن السد أبادي ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ،1960 تح طه حسين ، وإبراهيم مدكور ،وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر .
10 ـ عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق،1999، ن منشورات اتحاد الكتاب العرب.

11 ـــ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز1984، ، تح ، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،مصر .
12 ـــ عبد الوهاب المسيري: اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، 2002 دار الشروق ،القاهرة ، مصر ط 1 .
13 ـــ غسان كامل نعوس ، http:// www.reefnet.gov.sy //books project/ adab ajabya/ 135/ :ftt.pdf
14 ـ فوطوناطو إسرائيل ، ترجمة مصطفى النحال ،- http:// www.aljabri abed.net/n10- 13rohal.htm
15 ـــ محمد مولود فاقي ، الترجمة الأدبية تعاون عاطفي ، - http:// thawra.alwehda.gov.sy/ print-veiw.asp ?file name + 19209
16 ـــ محمد اليملاحي ، الترجمة الأدبية لدى علي القاسمي ، من النظرية إلى التطبيق ، http:// www.alnoor.se article.asp,id81336

17 ـــ مختار حبار (د) ، المرجعية الكلامية لنظرية النظم عند عبد الجرجاني ،2002، مجلة ثقافات ، ع4 كلية الآداب ، جامعة البحرين .
18 ـــ مسعود عمشوش ، (د) ، الترجمة الأدبية في اليمن ، http://www.anaweeen.net/ index.php, action=shwdétail. Id= 657

19 ــ مسلك ميمون (د) ، ترجمة الأعمال الأدبية، http/ // www. Maslak.maktoobblog.com/ 346813
20 ـ نصر حامد أبو زيد (د)، ،إشكاليات القراءة وآليات التأويل،1992، المركز الثقافي العربي ، بيروت.
21 ـ يمنى العيد (حكمت صباغ الخطيب ) ، (د)،في معرفة النص ،1985، منشورات دار آفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان.

**المراجع الأجنبية**

1 -Asylon(si 2009,' Que veut dire traduire' – texte intégral en ligne ( http:// www.réseau-terra.eu / rubrique18-71.html.
2- F. de Saussure ,*Cours de linguistique générale*,1996.1ere ,Ed. Payot. Paris.
3-- Georges Friedenkraft,*Une expérience de traduction* ;2010, Ging (Revue de Haiku No 28

4 - J.Demanlli,et C. Demanlli *La traduction : mode d'emploi,glossaire analytique*
5 _ Paul Valéry, *Les bucoliques précédé de variation sur les bucoliques*, t2, Gallimard, Paris.